وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

سيكولوجية الهدايات القرآنية وأثرها في بناء القيم

(تنوع القراءات أنموذجاً)

اسم الباحث/ـة

د/ حسن علي عبد الدليمي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فلا شكّ أن هدايات القرآن الكريم متنوعة، ولها جوانب عديدة، ومنها الجانب النفسي، وهو بحاجة إلى دراسة مستفيضة كونه لم يُخدم كما ينبغي.

لذا تهدف الدراسة إلى بيان الجانب النفسي من الهدايات القرآنية، ودراسة الأثر في ترسيخها كمبادئ إنسانية، وقْيَم فضيلة، والعمل على تنميتها وتحفيزها وتطويرها من خلال تعاليم تلك الهدايات.

حيث يتناول الباحث الأساليب النفسية، والأدوات العلمية التي استُعملت في الخطاب القرآني من أجل التأثير في النفوس،

كما يعمد الباحث إلى إبراز مؤشرات نجاح الشخصية الإنسانية من خلال ما تبْنِيه الهدايات القرآنية من أخلاق وقِيَم، بدراسة تطبيقية على جانب من جوانب الهدايات القرآنية، وهو تنوّع القراءات.

يستعمل الباحث المنهج التحليلي في تحليل النصوص على مستوى العلم والعبادة، والمنهج الاستنباطي في بيان الضوابط والمعايير التي تميّزت بها هدايات القرآن الكريم بما ينشر المعالم الإنسانية على أكمل وجه، وترسيخ القِيم والمبادئ النبيلة في النفوس.

وتأتي أهمية الدراسة في كونها تركز على ضرورة الربط بين القرآن الكريم، والعلوم المعاصرة – ومنها علم النفس–، وتسخير نظريات ومفاهيم وأسس علم النفس في خدمة القرآن الكريم وهداياته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّه الهادي الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل القرآن ميسراً لمن أراد أن يفهم معانيه، فأنزله على وجوه متعددة من القراءات، تظهر من خلالها بلاغته وإعجازه، وتظهر الهدايات في معانيه، والآثار في تفسيره، ولا تخلو سور القرآن الكريم وآياته من الهدايات التي تستنبط من فهم النص القرآني.

وإن الدارس للقرآن الكريم، المتدبّر لآياته، والمميز لقراءاته يجد فيه قوة التأثير في النفوس بطريقة خاصة به لا يجدها في أي كتاب آخر، فيدخل الانشراحُ الصدور، وتلامس السكينةُ القلوب.

ومن أثر القراءات في التفسير ما يضيفه وجود أكثر من قراءة في اللفظ القرآني من الهدايات والعبر التي تسهم في بيان المراد من آيات القرآن الكريم.

ولعلّ هذه القراءات تبين ما ينتج عنها ويحصل بسببها من توجيهات وتفسيرات، تساعد في إثراء المعنى من نواح عامة، ومن الناحية النفسية السيكولوجية على وجه الخصوص.

ولما بذل العلماء جهداً عظيماً في إبراز تلك القراءات، وتوجيهها بما تحتمل؛ كان حريّاً بدراسة الآثار الناتجة لتلك التوجيهات، ولاسيما الآثار النفسية منها، وإبراز ما فيه إثراء للمعنى التفسيري، ودورها في بناء القيم.

ومن هذه الألفاظ:

لفظة: (تساقط)في الآية ٢٥ من سورة مريم: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥]

ولفظة (يحطمنكم)في الآية ١٨ من سورة النمل: ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

١- كونها تتعامل مع أعظم كتاب عرفته البشرية جمعاء، وهو القرآن الكريم.

٢- كونها تتناول هدايات القرآن الكريم من خلال القراءات القرآنية.

٣- دراسة الجانب النفسي السيكولوجي للهدايات، وأثره في بناء القيم

أهداف الدراسة:

١- معرفة سيكولوجية الهدايات القرآنية من خلال تنوّع القراءات في اللفظة الواحدة.

٢- إبراز الأثر النفسي للهدايات القرآنية في بناء القيم.

٣- بيان التناسب بين القراءات والمعنى التفسيري.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة بالإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما المقصود بسيكولوجية الهدايات القرآنية؟ وما أثرها في بناء القيم؟

وينبثق عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما سيكولوجية الهدايات في لفظة (تساقط)وما أثرها في بناء القيم

٢- ما سيكولوجية الهدايات في لفظة (يحطمنكم)وما أثرها في بناء القيم؟

٣- ما الدلالات النفسية التي يبيّنها السياق، والتي تساعد في توجيه قراءات: (تساقط)و (يحطمنكم)؟

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث –بحدود اطلاعه- على دراسة تناولت سيكولوجية الهدايات القرآنية من خلال تنوّع القراءات، وأثرها النفسي في بناء القيم.

إلا أنه اطلع على دراسة مقاربة بالشكل العام، وهي: أثر اختلاف القراءات في استخراج الهدايات القرآنية: آيات صلة الرحم أنموذجا، للباحثة ولاء بنت عبد الرحمن البرادعي، المنشور في جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية، عام ٢٠٢٢م، ولم تتحدث فيه الباحثة عن الهدايات النفسية، ولا أثرها في بناء القيم، ولم تتناول اللفظتان محور هذه الدراسة.

منهجية الدراسة:

١- المنهج التحليلي: من خلال التحليل النفسي للنص القرآني.

٢- المنهج الاستنباطي: من خلال استنتاج الأثر النفسي للهدايات القرآنية في المعنى التفسيري وبناء القيم.

خطة الدراسة:

اقتضت خطة الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الدراسة، وأهدافها، ومشكلتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

تمهيد: موجز في المفاهيم الرئيسة.

المبحث الأول: سيكولوجية هدايات قوله تعالى: (تساقط عليك رطباً جنياً).

المطلب الأول: سيكولوجية الشدّة والضغط النفسي.

المطلب الثاني: سيكولوجية الانفراج والتسلية.

المطلب الثالث: سيكولوجية الإعجاز الإلهي.

المبحث الثاني: سيكولوجية هدايات قوله تعالى: (لا يحطمنكم سليمان).

المطلب الأول: سيكولوجية التحذير من الهلاك.

المطلب الثاني: سيكولوجية القول، وردّة الفعل.

المبحث الثالث: أثر الهدايات النفسية في بناء القيم.

المطلب الأول: الأثر في بناء قيمة حُسن الظن

المطلب الثاني: الأثر في بناء قيم الصبر والامتثال

المطلب الثالث: الأثر في بناء قيم الرحمة وشُكر النعم

المطلب الرابع: الأثر في بناء قيم العدل والإحسان

الخاتمة وأبرز النتائج.

تمهيد: موجز في المفاهيم الرئيسة

أولاً: مفهوم السيكولوجية.

ثانياً: مفهوم الهدايات القرآنية.

ثالثاً: مفهوم القِيَم.

أولاً: السيكولوجية:(psychology)

لغة: يعود الاشتقاق اللغوي لمصطلح السيكولوجية:(psychology)

إلى أصول يونانية وهو من مقطعين:

الأول:psycho)–)ويعني النفس، أو التنفس.

الثاني: (logy)- ويعني الكلمة أو الكلام أو الأقوال، ثم تطور حتى أصبح يطلق ويراد به العلم.

فمصطلح السيكولوجية معناه: (علم النفس)[١].

اصطلاحاً: تنوعت تعريفات علم النفس واختلفت مصادرها، لكنها اتفقت في روح التعريف وجوهره، لذا يختار الباحث منها أنه: "العلم الذي يدرس سلوك الإنسان والحيوان وما يحفل به هذا السلوك من مظاهر مثل الدوافع، والانفعالات، والاستدلال، والتفكير، والتعلم، إلى غير ذلك"[٢].

فهو فرع من العلم، يختص بالسلوك أو النشاط أو العمليات العقلية والنفسية.

ثانياً: الهدايات القرآنية:

الهدايات لغة: جمع هداية، وهي من الهُدى، بضم الهاء وفتح الدال، وهي من هَدى يُهدي، هدياً، وهُدى وهِداية وهِدية[٣]، ويتناول أصلها عدة معاين

---

[١] معجم مصطلحات الطب النفسي، لطفي الشربيني، دار النشر: مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص١٤٧.

[٢] أصول علم النفس، محمد شحاته ربيع، ط١، ٢٠١٠م، دار النشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ص٣٢.

[٣] ينظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة هدى، ص:٨٦٦١.

لغوية، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧].

قال ابن فارس رحمه الله: "الهاء والدال والحرف المعتلّ: أصلان، أحدهما: التقدّم للإرشاد، والآخر: بعثة لَطَفٍ [(١)]، فالأول قولُهم: هديته الطريق هِداية، أي: تقدّمته لأرشده، وكل متقدّم لذلك هاد، والأصل الآخر الهَديّة: ما اهتديتَ من لَطَف إلى ذي مودّة، يقال: أهْدَيْتُ أُهدِي إهداءً، والمِهدى: الطبقُ تُهدى عليه"[(٢)].والهُدى ضِدُّ الضَّلال، وهو الرشاد[(٣)]، ويقال هديت له الطريق هداية، على معنى بيّنت له الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [طه: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠].

اصطلاحًا: هي "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب"[(٤)]،وهي دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب.

وقيل: سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[(٥)].أو: "هي الدلالة المبينة لإرشاد القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع كل شر"[(٦)].

وفي هذه الدراسة يمكن بيان المقصود من الهدايات القرآنية بأنها:

الإرشادات النفسية المستنبطة من أوجه القراءات القرآنية في نموذجين من القرآن الكريم.

---

(١) اللطف بالتحريك: التحفة والهدية. وكلمة "بعثة" مهملة النقط في الأصل وهي المرة من البعث، ينظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني (٦/٣١)، وهذا الشرح ذكره محقق الكتاب عبد السلام هارون، قال صاحب الصحاح: "وألطفه بكذا أي بره به". الصحاح تاج اللغة ، الجوهري، مادة هدى ٤/١٤٢٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة هدى ٦/٤٢، ٤٣.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٢/٢١٧، ولسان العرب، ابن منظور، مادة هدى،١٥ /٣٥٣.

(٤) ينظر: التعريفات للجرجاني، (٢٥٦).

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص:٣٤٣.

(٦) الهدايات القرآنية، طه عابدين، يس قارئ وآخرين، ١/٤٤.

ثالثاً: القيم:

لغة: جمع قيمة بكسر القاف، وهي الاستقامة والاعتدال[١].

ومن الألفاظ ذات الصلة بلفظة قيمة، وتعزز المعنى اللغوي للقيمة كونها في مجال الأخلاق لفظتين:

١- استقمتها: ثمنتها أي قدرتها، واستقام الأمر: اعتدل.

٢- الاستقامة: الاعتدال، واستقام الشيء: اعتدل واستوى.

اصطلاحاً: "الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه وغير المرغوب"[٢]

والقيمة بمفهومها الإسلامي: عرّفها الحياري بأنها: "المبادئ والقواعد التي تعمل منطلقاً وموجهات لسلوك الإنسان ومرجعياته، ومن خلالها يتم الحكم على الأفكار والأشياء والأشخاص والتصرفات، من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام"[٣].

ويلاحظ من خلال التعريفات أن القِيم تأخذ مفهوم الأخلاق في كثير من الألفاظ، فهي متعلقّة بالمبادئ، والاستقامة، والسلوك، وغيرها.

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٥٢.

(٢) القيم والعادات الاجتماعية، فوزية دياب، دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، ١٩٩٦م، ص٥٢.

(٣) القيم الإسلامية المطلقة والنسبية، محمود الحياري، ورقة عمل في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، المتغير في الفترة ٢٧- ٩ -١٩٩٩م، جامعة اليرموك، الأردن، ص٦.

المبحث الأول: سيكولوجية هدايات قوله تعالى:

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾

لا شكّ أن تأثير القراءات على الهدايات سيكون تأثير إثراء وتعدد، فكل قراءة قد تحمل هداية أخرى لا تناقض غيرها، وإنما تضاف إليها، والهدايات النفسية ضمن جوانب الهدايات في القرآن الكريم.

واتفق العلماء على أن الخلاف في القراءات إنما هو خلاف تنوع، وليس خلاف تضاد وتناقض، وفي تقرير ذلك يقول الداني رحمه الله: "وجملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره، من إنزال القرآن، وكتابته، وجمعه، وتأليفه، وقراءته، ووجوهه، ونذهب إليه ونختاره؛ فإن القرآن منزل على سبعة أحرف، كلها شافٍ، كافٍ، وحق، وصواب، وأن الله تعالى قد خيّر القراء في جميعها، وصوبهم إذا قرأوا بشيء منها، وأن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة، وألفاظها تارة، مع اتفاق المعنى: ليس فيها تضاد، ولا تناف للمعنى، ولا إحالة، ولا فساد"[1].

وسيبيّن الباحث ثلاثة مشاهد سيكولوجية نفسية تلامس المشاعر، وتتعدّى إلى السلوك، في لفظة (تساقط).

المطلب الأول: سيكولوجية الشدّة والضغط النفسي:

يتراءى للباحث موقف مريم عليها السلام وهي تمر بالحال العصيب والأزمة النفسية الحادة، فبعد أن كانت تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها؛ تخاف الآن من مواجهة المجتمع بعد حملها بعيسى عليه السلام، ترافقها آلام جسدية متمثلة بالمخاض الذي اضطرّها اضطراراً إلى الاستناد إلى جذع النخلة، وهي وحيدة تعاني حيرة العذراء في المخاض الأول ولا علم لها بشيء، ولا يوجد معها من يعينها، حتى صارت تتمنى أنها شيئاً من النسيان،

[1] الأحرف السبعة للقرآن، ص: ٦٠.

مشهد يجعل القارئ يتخيل صعوبة الموقف في ملامحها واضطراب خواطرها، ويتلمس مواقع الألم فيها ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢ – ٢٣]

ذكر المفسّرون أن معنى الآية: فاضطرّها وألجأها وجع الولادة وألم الطلق إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، فتمنّت الموت قبل ذلك الحال استحياءً من الناس، وخوفاً أن يظن بها السوء في دينها، أو أن تكون شيئاً متروكاً لا يبالى به، ولا يعتد به أحد من الناس، أو لم تُخلق ولم تك شيئاً[١].

قال الزمخشري: "تمنّت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من شأنه وحقّه أن يُنسى في العادة، وقد نُسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه، وذلك لما لحقها من فرط الحياء من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله أو لشدّة التكليف عليها[٢].

هذا المشهد الذي يبعث الألم في نفس القارئ وهو يقرأ بتدبر؛ فكيف هو الحال بصاحبة الموقف ذاته!!، يجعله يعيش مع أحداث القصة بواقع المشاهدة النفسية، وتتسلل الألفاظ إلى مشاعره وأحاسيسه، وتسيطر عليه حروف الآيات فتجعله شاهداً بالمشاعر النفسية التدبّريّة.

ومع هذا الجو من الشدّة والألم والضيق؛ جاءت القراءة بـ: (تسّاقط)[٣] لتجعل من التعبير دلالة نفسية على أن الموقف الشديد لازمه تعبير يتفاعل مع حالها، تساقط الرطب مواكباً لما تمر به عليها السلام.

---

(١) ينظر: لباب التأويل عن معاني التنزيل، للخازن، دار الفكر- بيروت، ٢٢٤/٤، والتفسير المنير، للزحيلي، ٧٥/١٦.

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري،٥٠٦/٢.

(٣) في قراءة لعاصم بن أبي النجود، ينظر: معاني القراءات للأزهري، ١٣٣/٢.

المطلب الثاني: سيكولوجية الانفراج والتسلية:

في هذا المشهد يجدر البدء بقضية نفسية مهمة، وهي الترويح عن النفس، وما فيه من فوائد، فهو يشحذ الهمم، ويجدد النشاط، ويبعد الملل والاكتئاب عن النفس، والسآمة عن القلب، ويحد من الآثار السلبية للقلق والتوتر النفسي والعصبي، فضلا عن الفوائد الأخرى الصحية والاجتماعية[1].

يلاحظ من هذه الفوائد التركيز على العامل النفسي فهو –بلا شك – أساس في كل تأثير، وهو الذي يعين الفرد على تحمل صعاب الحياة ومشاقها، والتخفيف من جديتها المفرطة. والمعروف أن أوقات التسلية والترويح والطمأنينة النفسية غالباً ما تأتي بعد الحزن والاضطراب والمواقف العصيبة، والجهد النفسي والجسدي؛ ليحصل شيئاً من التغيير والراحة والمؤانسة والتخفيف من الضغوط، وحدّة المشاكل التي تواجه الإنسان، وتكون الأدوات المستعملة في التسلية والترويح بحسب الموقف والحاجة التي تقتضيه، وهذا ما حصل مع مريم عليها السلام.

في ذلك الموقف الصعب، والحال المحزن، وفي عظمة الهول، وحدّة الألم عندها عليها السلام؛ تكون نقطة التحول بحصول المفاجأة التي تطمئن قلبها، وتريح نفسها، نداء يدعوها إلى طيب النفس وعدم الحزن، ويرشدها إلى الطعام والشراب والحجة والبرهان تأنيساً لها وتسلية، وتذكيراً بأن الله تعالى معها فلا تحزن ولا تقنط. قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤- ٢٦]

---

[1] ينظر: ضوابط الترويح في الإسلام، لسعد، ص٨٤.

ذكر لها الأدوات المساعدة في تسليتها والمتمثلة بالآتي:

١- أخبرها بأن الله تعالى أجرى لها جدولاً سارياً.

٢- أرشدها إلى هزّ جذع النخلة؛ ليتساقط عليها الرطب.

٣- وجهها بأن تأكل وتشرب وتريح نفسها من الأعباء والهموم.

فعندما هزّت ذلك الجذع؛ أخذ يتساقط عليها الرطب كرامة لها وتأنيساً وتسلية[١]، وجاء النداء لها بـ: ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي طيبي نفسا، ولا تحزني[٢].

والملاحظ في هذا النص الكريم تعدد الحواس المستعملة، فعن طريق اللمس جاء: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾،

وعن طريق الذوق جاء: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي ﴾، وعن طريق البصر كما جاء في الآيات التي قبلها: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾، وعن طريق السمع كما سمعت النداء وهو يرشدها إلى الشجرة والأكل والشرب، وكذلك عند سماع القوم للطفل وهو يكلمهم في مشهد مثير.

ومن صور البيان هنا الكناية في قوله تعالى: (وقرّي عيناً) حيث كنّى بقرار العين عن السكون والاطمئنان، إذ الإنسان في اضطرابه وخوفه تدور عينه ولا تستقرّ، فقرار العين يعلن عن قرار النفس، وإبعاد الهواجس المخيفة، وألّا تتوقع سوءاً؛ لأن الله معها[٣].

مع هذه الأجواء من الترويح عن النفس، وحصول التحوّل من الضيق إلى الانفراج، وتوفر الأدوات المساعدة للخروج مما تعاني منه النفس من القلق والتوتر والحزن؛ **جاءت القراءة بـ (تُسَاقط)**[٤] لتجعل القارئ يعيش هذه

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ١٥٦/٢.

(٢) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري ٣٠١/٣.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٤٦٣٠/٩، وينظر: روح المعاني، للآلوسي، ٤٠٤/٨.

(٤) ينظر: معاني القراءات للأزهري، ١٣٣/٢.

التفاصيل، فيستشعر عملية إسقاط الرطب، بكل يسر وسهولة بأمر من مؤنس القلوب، ومفرّج الكروب سبحانه عز وجل.

المطلب الثالث: سيكولوجية الإعجاز الإلهي:

لا شكّ أن ما حصل لمريم عليها السلام هو معجزة إلهيّة، فهي تحمل بعيسى عليه السلام من دون أن يقربها أحد، فيُخلق من دون أب، تتفاجأ بالأمر فتجبرها الطبيعة البشرية إلى الانعزال، والابتعاد عن الناس، ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾تختلط المشاعر قبل الأفكار!! كيف حصل هذا؟ وكيف ستواجه المجتمع وهي العفيفة الشريفة الصالحة؟ وكيف ستتصرف؟، وماذا ستفعل؟ مشهد غريب عجيب سيطرت عليه العوامل النفسية، مشهد وصفته الآيات القرآنية بكل دقة وتفصيل وإعجاز. كذلك؛ فإن عملية الانتقال إلى راحة النفس، والطمأنينة، وقرّة العين؛ ناسبتها معجزة ربانية، وهي خلق الرطب بمجرّد هزّ الجذع اليابس، والمعنى: أن الجذع يابس لا حياة فيه، فسيظهر الرطب ويسقط بقوة قوي، وقدرة قادر، فكما أن الله خلق عيسى عليه السلام بمعجزة؛ سيخلق الرطب بمعجزة أخرى، لتكون إيناساً لها؛ فتريح قلبها ولا تحزن.**وتأتي القراءتان السابقتان** لتناسبان هذا المشهد، ففي نشدان الحالة النفسية والتصوير الفني لها؛ تكون قراءة التشديد أقوى أثراً في النفس، وتكون قراءة التخفيف مبيّنة حالة من الاستقرار النفسي بحصول معجزة أخرى على غرار معجزة خلق عيسى من غير أب.

ومن القراءات الأخرى لهذا اللفظ: (يُساقِط) بالياء، وهي وإن كانت قراءة شاذّة إلا إن لها توجيهاً نفسياً في إطار المعجزة الإلهية، وقد ذكرها الطبري أنها قراءة البراء بن عازب، وتعني: يتساقط الجذع عليك رطباً جنيّاً[1]،

[1] ينظر: تفسير الطبري، ١٨/١٨٠.

وهنا يكون الأثر النفسي من جهة أنها عليها السلام ستستأنس وتطيب نفساً بعد أن ترى المعجزة الثانية بإحياء موات الجذع.

ويؤيد هذا المفهوم ما قاله الرازي: "والمعنى جمعنا لك في السري والرطب **فائدتين**:إحداهما: الأكل والشرب،

والثانية: سلوة الصدر بكونهما معجزتين"[١].

وقال القرطبي: "قوله تعالى:" وهزي" أمرها بهزّ الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع"[٢]، وأيضاً؛ فإن إلجاءها إلى النخلة دون غيرها من الأشجار على كثرتها إنما هو لمناسبة حال النخلة لها؛

لأنها لا تحمل إلا باللقاح من ذكور النخل، فحملها بمجرّد هزّها أنسب شيء لإتيانها بولد من غير والد، فكيف إذا كان ذلك في غير وقته، وكيف إذا كانت يابسة، مع ما لها من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها، وكون رطبها خُرسة[٣] للنفساء، وغاية في نفعها وغير ذلك[٤].

ويشير الباحث إلى أن الاستنباط يكون للأثر النفسي من هذه القراءات، وتوجيهها بحسب ذلك الأثر،

فلا يكون المعنى أن الله تعالى أراد في هذه القراءة أمراً غير الذي في القراءة الأخرى؛ إنما المعنى الواحد هو نزول الرطب، بالقلة أو الكثرة أو التتابع؛ شمله تعدد القراءات في (تساقط)، وكان له الأثر النفسي العميق في جميع المشاهد التي استنبطت من السياق.

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي ٥٢٨/٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٩٤/١١.

(٣) الخُرسة: طعام الولادة، ينظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مادة: (خ ر س).

(٤) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، ١٨٧/١٢.

المبحث الثاني: سيكولوجية هدايات

قوله تعالى: ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾

قال ابن خالويه: "وقولُه تَعَالى: (**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ**). روى عَبْدٌ عَنْ أبي عَمْرٍو: (لَاْ يَحْطِمَنْكُمْ) بتخفيف النون وإسكانها جعلها نون التَّأكيد خفيفةً مثل اِضْرِبَنْ واذْهَبَنْ. والباقون يشدِّدون، وهو أبلغُ فِيْ التأكيد. والعرب تَقُولُ: اضرب يا فتى فإذا كثر قالوا: اضربَنْ فإذا زادوا عَلَى التأكيد تأكيدًا قالوا: إضربَنَّ بالتَّشديد. ومثله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بالله الغرور) و (ولا يَغُرَّنْكُمْ) وأَصل الحَطْمِ: الكَسْرُ يقال: حَطَمَ يَحْطِمُ وحَطَمَ يَحْطُمُ، وفلانٌ حَطَّمَتْهُ السِنُّ"(١).

جاءت لفظة: ﴿ يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾ في مشهد نفسي مثير صوّره القرآن الكريم، مشهد يبعث إلى النفس الراحة والإحساس بالنعمة، ويلجئها لأن تشكر فلا تكفر، مشهد يجعل صاحب الملك العظيم الذي سُخِّر له كل شيء من الجن والإنس والرياح، وعُلِّم منطق الطير والنمل؛ يبتسم ضاحكاً، ويشعر في نفسه بالنعم التي هو فيها فيشكر عليها.

يقول تعالى في قصة سليمان عليه السلام: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل:١٨-١٩].

وعلى غرار ما حصل لمريم عليها السلام من الترويح النفسي؛ ندرك في هذه الآيات أن عملية الترويح أساسية ليست في طابع التسلّي وإزاحة الهموم فقط؛ بل لإمداد الجمهور المتلقي بمواقف تعليمية مقبولة ومفيدة يمكن من خلالها الدعوة إلى الأمور واستشعار المواقف واستلهام العبر، ودعم الاتجاهات

(١) إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه ص٣٢٠.

أو تغييرها، وتحقيق ردة الفعل الإيجابية منها، وهذا يتطلب أساليب خاصة لتطبيق هذا المفهوم[١].

وهنا يوضّح الباحث مشهدين مع قراءتين، ليظهر الأثر النفسي في تفسير هذا النص الكريم، إذ وردت القراءة الأولى بتشديد النون وفتحها، والثانية بتخفيف النون وإسكانها كما مرّ.

المطلب الأول: سيكولوجية التحذير من الهلاك:

قراءة (يحطمنّكم) بتشديد النون وفتحها:

الحِطم يعني الكسر، والمراد به الإهلاك[٢]، قال ابن عاشور: "والحطم: حقيقته الكسر لشيء صلب. واستعير هنا للرفس بجامع الإهلاك"[٣].

تصوّر لنا الآيات الكريمات مشهد الجيش العظيم، مشهد الحشد المخيف، المكوّن من الجن والإنس والطير، يأتون جماعات جماعات، حشروا جميعاً عند سليمات عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]، جاء على إثره النداء بالتحذير من الهلاك، فإن الخطر قادم، فادخلوا مساكنكم.

مع هذا الجو من الشعور بالخطر القادم؛ جاءت قراءة: ﴿ يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾ بالتشديد لتتناسب مع جوّ الجيش والحشد والقوّة، وتتناسب مع ألفاظ الكثرة والحشد والجنود (حُشر- جنوده- من الجن والإنس والطير- يوزعون).

وهذا أبلغ في التأكيد لأنها تمنح الفعل قوة تعبيرية هائلة قائمة على شعور داخلي، فتأكيد المقال في هذا الفعل جاء بموازاة سياق القصة الذي يحدثنا عن سليمان عليه السلام وجنوده الذين نزلوا على واد النمل، وخوف

---

(١) ينظر: علم النفس السياسي والإعلامي، للخوالدة، ص٢٢.
(٢) ينظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٠/١٧٣.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٩/٢٤٢.

النملة من قتلهم وطحنهم، فجيء بهذه اللاحقة في سياق هذه الآية للتعبير عن شدة التحطيم إن وقع بالنمل تحت قدمي سليمان وجنوده لهول الموقف وشدته وثقله(١).

وكما هو معلوم بأن التغيّرات التي تحصل في بنية الكلمة تؤدي إلى تغيير في الدلالة، فالزيادة في المبنى تفضي إلى زيادة في المعنى.

فالقراءة بنون التوكيد المشددة المفتوحة أنسب وأبلغ في السياق، لأن الحطم يحتاج إلى شدّة وصلابة.

المطلب الثاني: سيكولوجية القول، وردّة الفعل:

قراءة (يَحطِمَنْكم) بتخفيف النون مع إسكانها.

في علم التلاوة والتجويد؛ عندما تلتقي النون الساكنة مع الكاف؛ يكون الحكم إخفاء(٢)، والإخفاء معناه السِتر،

يقال: أخفيت الكتاب أي سترته عن الأعين.

فكأن المعنى النفسي في استعمال هذه القراءة أن النملة تخفي نيّة القصد من سليمان وجنوده بالأذية وتعمّد الإهلاك والتحطيم، فقالت بعدها: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مما دفع سليمان عليه السلام أن يبتسم ويشكر خالقه على ما خصّه من النعم.

كان تبسم سليمان عليه السلام سروراً بنعمة الله تعالى مما رأى من موقف النملة التي كان في قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ثناء عليه وعلى قومة، وتنزيها لهم عن تعمّد القبيح (٣) ، فقد برأت ساحته وساحة جنوده من الاتهام بالقصد إلى تحطيمهم والتعدي عليهم، فكان قولها مهذباً فيه من العدل والإحسان

(١) السياق وأثره في توجيه المعنى في التفسير العلمي للقرآن الكريم: قصة سليمان مع النملة أنموذجاً، حبيبة زغلامي،: نشر العلوم الطبيعية، مج٥/ع١، ٢٠٢٠م، ص: ١٧٩.
(٢) ينظر: نصر، غاية المريد في علم التجويد، نصر، ص٦٦.
(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، ١٥٨/٣.

الكثير، جعل سليمان عليه السلام يعبّر عن ارتياحه بالتبسّم، وأخذ يطلب ويتضرع إلى خالقه عز وجل أن يلهمه الشكر على النعم، وأن يعينه على العمل الصالح الذي يرضى عنه،

وهنا دلالة على أن نظر سليمان لجنوده وهو يستعرضهم كان نظر تدبّر واعتبار، لا نظر زهو وافتخار(١).

وكأن القارئ المتدبر للنص القرآني قد حضر ذلك المشهد، تتراءى له صورة النملة التي تواصلت مع مجتمعها في ذلك الواد، مستعملة أسلوب النداء التحذيري، المتجرد من الاتهام والظلم، للحيلولة دون وقوع ضرر وخطر وشيك.كما تراوده أيضاَ صورة الابتسامة الضاحكة عند سليمان عليه السلام في تلك اللحظة وهي معبّرة عن الارتياح النفسي مما سمع من قول تلك المخلوقة الضعيفة،

وفي هذا الجو النفسي العجيب؛ يستشعر عليه السلام الموقف، ويستلهم العبر(٢)، وهنا التركيز على الجانب النفسي قبل ردّة فعله بقوله:﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

(١) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، للناصري، ٤/٤١٧.
(٢) ينظر، وظائف الاتصال في ضوء توجيهات القرآن الكريم، لحسن فيحان، ص١٢٢.

المبحث الثالث: أثر الهدايات النفسية في بناء القيم

الأَثَر في اللغة جمع آثار، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثّر في الشيء: ترك فيه أثراً. يقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ [الحديد: ٢٧]، ويقول: ﴿كَانُوٓاْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافر، ٢١]، ويقول: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]،

ويطلق على عدّة معان، منها: ما بقي من رسم الشيء، وتقديم الشيء، وذكر الشيء[١].

والأثر في الاصطلاح لا يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي،

فالعلماء يستعملونه للدلالة على حصول أو وجود الشيء[٢]، والآثار: اللوازم المعللة بالشيء، كما لو قيل: أثر عقد البيع، وأثر الفسخ، وأثر النكاح[٣]. والمراد بالأثر هنا: الأثر النفسي لهدايات القرآن الكريم في بناء القيم من خلال السياق والمعاني المستنبطة منه.

فمن إعجاز القرآن الكريم أنه يؤثر في نفوس القارئين والسامعين المتدبرين، ويسمو بأرواحهم، كما قال الخطّابي حول أثر القرآن: "... وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظَّها منه عادت مرتاعة قد عراها القلق، وتَغَشَّاها الخوف والفَرَق، تقشعرُّ منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يَحُول بين النفس

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، كتاب الهمزة والثاء، ٥٣/١، ومختار الصحاح، ص١٣، ولسان العرب، مادة أثر، ٥/٥.

(٢) ينظر: آثار توحيد الألوهية على الصحة النفسية، حمدان، ص١٩٤.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٦٢، والجرجاني، التعريفات، ص٩، والتوقيف على مهمات التعاريف، لابن زين العابدين، ص٣٨.

وبين مُضمَراتها وعقائدها الراسخة فيها"[1].

وموضوعات القرآن تتعامل مع الإنسان بشكل مباشر، تخاطب روحه ووجدانه، وتؤثر في جميع أنماط حياته، تركز على السلوك والتصرفات وتأثيرها وأبعادها وسماتها وأثرها على المجتمع، وكذلك الدوافع المختلفة التي تتخلل تلك الموضوعات.

وهي قد وضّحت القضايا النفسية للإنسان سواء شعوره وإحساسه الداخلي وطبيعة حالته النفسية، أو ما يصدر عنه من سلوك وأحوال تعكس شخصيته وفق الظروف والأحداث.

المطلب الأول: الأثر في بناء قيمة حسن الظن:

الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك[2]، ومنه ما هو حَسَن، أو سيئ، فيقال: حُسن الظن، أو سوء الظن.

ومن الأخلاق والآداب: أنه تعالى أمر بحسن الظن واجتناب سيئه، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].قال القاسمي رحمه الله: "أي كونوا على جانب منه، وذلك بأن تظنوا بالناس سوءاً، فإن الظان غير محقق، وإبهام (الكثير) لإيجاب الاحتياط والتورع فيما يخالج الأفئدة من هواجسه، إذ لا داعية تدعو المؤمن للمشي وراءه، أو صرف الذهن فيه، بل من مقتضى الإيمان ظن المؤمنين بأنفسهم الحسن، قال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢] (ص ٢٠٩).وبالعود إلى سياق قصة مريم عليها السلام، وفي مشهد مواجهة القوم بالحقيقة، فها هي تحمله بين يديها، ثابتة القدمين، مطمئنة القلب، طاهرة النفس،

---

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ضمن كتاب "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، ص٧٠

(٢) ينظر: التعريفات، علي محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م، ص: ١٤٩.

واثقة بأن الله تعالى سيبرئها، فما إن رأوها تحمل طفلاً حتى ثارت ثائرتهم، وخرجوا عن طورهم، واتهموها قبل أن يسألوها، فقالوا: لقد جئت شيئاً عظيماً منكراً لم يفعله أحد من قبلك يا مريم[١]!.

قال السعدي: "فلما تعلت مريم من نفاسها أتت بعيسى قومها وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة"[٢] أما قومها فلا حجة لديهم سوى نفوسهم المريضة بالشبهات وسوء الظن، والحكم دون التحقق.

وقد أشار علم النفس إلى أن الذي يكثر الشك وسوء الظن يكون عرضة بل وأسرع الناس إلى الإصابة بالاضطرابات العقلية [٣] ،

وعلى النقيض تماماً أن من صفات الشخص السوي نفسياً أنه يمتاز بحسن الظن، وحب الآخرين، وقادر على تكوين علاقات طيبة مراعياً مشاعرهم[٤].

المطلب الثاني: الأثر في بناء قيم الصبر والامتثال:

الصبر: منع وحبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكّي، والجوارح عن التشويش كلطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما[٥].

والصبر من القيم الخلقية، وهو النفحة الخلقية والروحية التي تدخل إلى قلب المؤمن السكينة والاطمئنان، وتكون بلسماً لجراحاته التي يتألم منها،

ولهذا عني القرآن الكريم بالصبر، ومدحه، ورفع منزلته، وأثنى على المتحلين به، كما أحب الله الصابرين، وأعلن في القرآن أنهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم في العلاج النفسي: قصة مريم أنموذج، رمضان الصيفي، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٦م، ص٥٠-٥١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٤٤١.

(٣) ينظر: الاضطراب النفسي، ألفت حقي، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٣م، ص: ٢٢-٢٣.

(٤) الطب النفسي للجميع، عبد المنان حسين الجادري، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م، ص٢٤-٢٥.

(٥) عدة الصابرين (ص٢٧)

في الدنيا والآخرة [١] ، قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]

والامتثال بمعنى التسليم والطاعة، والخطاب من الله تعالى يقتضي الامتثال من المكلّف اعتقاداً وقولاً وعملاً، لغاية تحقيق رضى الله سبحانه وتعالى، والنجاة من النار ودخول الجنة.

ويرى علماء النفس أن للمواقف سيكولوجيات خاصة بها، فالمواقف والظروف المجتمعية التي يتعرض لها الأفراد تكون سبباً في مدى الطاعة والامتثال، سواء من حيث المكان، أو الزمان، أو الحالة التي يمر بها الأفراد، فعلى سبيل المثال يميل الأفراد إلى طاعة الأوامر في المواقف الضبابية والغامضة، والتي تندر فيها المعلومات[٢].

ومريم عليها السلام قد بدأت معاناتها الحقيقية من موقف الحمل؛ لأنها أصيبت في أغلى ما تملك أي فتاة بعد دينها، ألا هو عرضها، قال الشعراوي: "وليس أصعب على الفتاة من أن تجد نفسها حاملاً ولم يمسسها رجل؛ لأن عرض الفتاة أغلى وأعز ما تملك"[٣]، فصبرت على الألم النفسي، والألم الجسدي، بل وامتثلت لأمر الله تعالى واستسلمت له.قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧]، أي: لما اطمأنت مريم عليها السلام بما رأت من الآيات وسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه أتت بعيسى تحمله إلى قومها من المكان القصي[٤]، وهذه

---

[١] ينظر: الإسلام وتربية القيم الأخلاقية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س٦٦، ع٦٣٠، ٢٠١٧م، ص٤.

[٢] نقلاً عن: سيكولوجية الطاعة: القيد الطوعي للفعل والتغيير في مراحل ما بعد الثورات، داليا أحمد رشدي، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٧م، مج/١٧، ع٦٥، ص١٦.

[٣] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٠٠٥٠/١٦

[٤] ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢٦/٥ ، والتفسير المنير ١٦-٨١ .٨٢

هداية عظيمة من هدايات القرآن الكريم، بأن الواثق بالله سبحانه، والمطمئن به، يصبر على البلاء ويمتثل لأمر ربه، مهما واجه من ظروف، أو نتائج.

المطلب الثالث: الأثر في بناء قيم الرحمة وشُكر النعم:

الرحمة: "هي إرادة إيصال الخير"[1]، ومن معانيها الرقّة والعطف، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

والنزعة الإنسانية التي تميزت بها قيمة الرحمة، نقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعصبية إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي أمام الله، وفي كيان المجتمع تساوياً لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق، أو فئة على فئة، أو أمة على أمة، وإن هذه النزعة لتتجلى في مبادئ حضارتنا وتشريعها وواقعها.

والشكر: ظهور أثر نعمة الله على عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة[2].

وشكر النعم من الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلم، وهي من مكارم الأخلاق، والقيم الحميدة، وأجلّ من يستحق الشكر والثناء هو الله عز وجل، لما له من عظيم النعم والمنن على عباده في الدين والدنيا، وقد أمرنا الله تعالى بشكره على تلك النعم، وعدم جحودها، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]،

فكلمة الشكر من جوامع الكلم تنتظم كل خير وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه، وأن الشكر لله على ما أنعم به على

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان، طبعة جديدة ١٩٨٥ م، ص: ١٥٠.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٢٤٤.

الإنسان من مال أو علم يطهّر النفوس ويقربها من الله ويوجّه إرادتها إلى الوجهة الصالحة في إنفاق النعم في وجوهها المشروعة،

ويبثّ فيها الأمل والرجاء والطمأنينة إلى وعد الله بالزيادة والرعاية وحسن الجزاء،

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أُعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر"[1].

ويستنبط من فعل سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ أثر الرحمة والعطف والرقّة عليه من قول تلك النملة المخلوقة الضعيفة.

وفي قوله: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾،

قد أدّى واجب شكر النعمة، **وقد اشتمل على عدّة قيم وفضائل:**

١- الاعتراف بأنها نعمة من الله عليه شخصياً، وهو يطلب الإعانة منه سبحانه على أداء الشكر.

٢- الاعتراف بأنها نعمة على والديه أيضاً، ومن البرّ أنه يقوم بواجب الشكر نيابة عن والديه.

٣- العزم على العمل الصالح الذي يرضيه سبحانه وتعالى.

٤- الدعاء بأن يمنّ الله عليه ويدخله برحمته في عباده الصالحين.

وهي فضائل تندرج تحت قيم الرحمة والشكر، تقدّمها هدايات القرآن الكريم في قالب نفسي مهم.

---

[1] سنن الترمذي- كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في التشبع بما لم يعط، حديث رقم: ١٨٦

المطلب الرابع: الأثر في بناء قيم العدل والإحسان:

العدل: عطاء كل ذي حق حقه من غير تحيّز أو محاباة أو تفرقة بين المستحقين أو تدخل لهوى النفس(١)، والإحسان يطلق ويراد به واحد من ثلاث معان، فعل الحسنات، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى(٢).

ومن مجالات العدل والإحسان أن يكون القول حقاً، والخطاب بالحُسنى، وهذا ما أمر به القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]،

ويقول تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]،

فالعدل والإحسان بالقول في كل أحواله، فيحذر الظلم وشهادة الزور بقصد التشفي وأخذ الثأر، فالكذب والزور لإقصاء الآخرين ليس من دأب الصالحين، بل من دأب الفساق وأهل اللؤم(٣).وهذا يبين الدقّة وتحرّي العدل في القول والحكم عليه مهما كان القائل عدواً أو صديقاً، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله- في تفسير الآية: "يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال"(٤)، وذكر الإمام القرطبي-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ بأن العدل يتضمن الاحكام والشهادات،

(١) ينظر: أخلاقنا، محمد ربيع الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ص:

(٢) ينظر: التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الوطن، الرياض، ص: ٢٠.

(٣) العدل والإحسان في الإسلام: دراسة دعوية، زينب عبد الله الراجحي، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، مج١/ع٣٢، ٢٠٢٠م، ص: ٢٩٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣٢٨/٣.

ولو كان الحق على مثل قراباتكم[1].

كما أن الإحسان سبب من أسباب انشراح الصدر، فلا شكّ أن الإحسان نتيجته فرح داخلي يشعر به المحسن، وينشرح صدره لما قام به من إحسان، وقد ذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله- أن الإحسان من أسباب انشراح الصدر، فقال: "الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم همّاً وغمّاً"[2].

وفي قول النملة: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ عدل وإحسان، فنراها نفت تعمد الأذية من سليمان وجنوده بقولها (لا يشعرون)، وكذلك لم تدخل رأسها في التراب وتترك النمل يواجه مصيرها، بل سارعت إلى تقديم النصيحة ودعوة زميلاتها إلى دخول مساكنهن، فتحملت واجب الإحسان، والحرص على المصلحة، وحب الخير للغير بقولها: (لا يحطمنكم).

وهذه القيم الإنسانية النبيلة تُبنى من خلال هدايات القرآن الكريم.

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣٧/٧.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٩٩٤م، ٢٤/٢.

الخاتمة وأبرز النتائج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد أن أنهى الباحث دراسته توصّل إلى جملة من النتائج يراها على جانب من الأهمية لعل أبرزها:

١- بيّنت سيكولوجية الهدايات الإرشادات النفسية المستنبطة من أوجه القراءات القرآنية في نموذجين من القرآن الكريم.

٢- بيّنت القراءات المتعددة في (تساقط) في سورة مريم أثراً نفسياً لاءم أحداث القصة بحسب سياق الآيات، فجاءت قراءة (تسّاقط) بالتشديد ملاءمة لجوّ التوتر النفسي والضغط الذي لازم مريم عليها السلام في ذلك الموقف، كما لاءمت قراءة (تُساقط) بالتخفيف جوّ الانفراج والترويح النفسي، كذلك لاءمت قراءة (يسقط) بالياء جوّ حصول المعجزات من خلق عيسى عليه السلام، وخلق الرطب في الجذع اليبس.

٣- جاءت قراءة (يحطمنّكم) بتشديد النون وفتحها، ملاءمة لجوّ الحشد والجيش العظيم، بينما لاءمت قراءة (يحطمنْكم) بسكون النون وإخفاءها، لتعبّر عن إخفاء النملة نية قصد الأذية من سليمان وجنوده بدليل قولها: (وهم لا يشعرون) فتركت القراءتان أثراً عميقاً في النفس.

٤- أظهرت سيكولوجية الهدايات أثراً بارزاً في بناء القيم، وبحسب الدراسة في سياق لفظة (تساقط) و (يحطمنكم) فقد ظهرت قيم حُسن الظن، والصبر والامتثال، والرحمة وشكر النعم، والعدل والإحسان.

التوصيات:

يوصي الباحث المختصين بالدراسات القرآنية الاهتمام بالجوانب النفسية المتعلقة بالقراءات القرآنية، والتركيز عليها في دراساتهم وأبحاثهم، واستنباط الهدايات النفسية منها.

قائمة المصادر والمراجع

١. **الإسلام وتربية القيم الأخلاقية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س٦٦، ع٦٣٠، ٢٠١٧م.

٢. **الاضطراب النفسي**، ألفت حقي، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٣م.

٣. **أخلاقنا**، محمد ربيع الجوهري، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة.

٤. **أصول علم النفس**، حمد شحاته ربيع، ط١، ٢٠١٠م، دار النشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن.

٥. **إعجاز القرآن الكريم في العلاج النفسي**: قصة مريم أنموذج، رمضان الصيفي، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٦م.

٦. **إعراب القراءات السبع وعللها**، ابن خالويه الهمذاني، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع.

٧. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري**، جابر بن موسى، ط٥، ٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٨. **بيان إعجاز القرآن**، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، ط٣، ١٩٧٦م، دار المعارف، مصر.

٩. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الزبيدي، ت: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

١٠. **التحرير والتنوير** "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ابن عاشور، محمد بن الطاهر، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، ت: عبد الله الخالدي، ط١، ١٤١٦هـ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

١٢. **التعريفات**، الجرجاني علي بن محمد، ط١، ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. **التعريفات الاعتقادية**، سعد بن محمد آل عبد اللطيف، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الوطن، الرياض.

١٤. **تفسير الشعراوي**- الخواطر، الشعراوي، محمد متولي، مطابع أخبار اليوم.

١٥. **تفسير القرآن العظيم، ابن كثير**، أبو الفداء اسماعيل بن عمر، ت: محمد حسين شمس الدين، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. **تفسير القرآن المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة الزحيلي، ط١، ١٩٩١م، دار الفكر، دكشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت.

١٧. **التوقيف على مهمات التعاريف**، المناوي عبد الرؤوف بن تاج الدين،ط١، ١٩٩٠، عالم الكتب، القاهرة.
١٨. **التيسير في أحاديث التفسير**، لناصري، محمد المكي، ط١، ١٩٨٥م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، "تفسير السعدي"، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت: عبد الرحمن اللويحق، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
٢٠. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ط٢، ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٢١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
٢٢. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، ط١، ١٤١٨هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، ت: علي عبد الباري عطية، ط١، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، ت: شعيب الأرنؤوط، ط١، ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٥. **زهرة التفاسير**، أبو زهرة، محمد بن أحمد، دار الفكر العربي.
٢٦. **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.
٢٧. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار النشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ١٩٩٨م.
٢٨. **السياق وأثره في توجيه المعنى في التفسير العلمي للقرآن الكريم: قصة سليمان مع النملة أنموذجاً، حبيبة زغلامي**، نشر العلوم الطبيعية، مج٥/ع١، ٢٠٢٠م.
٢٩. **سيكولوجية الطاعة**: القيد الطوعي للفعل والتغيير في مراحل ما بعد الثورات، داليا أحمد رشدي، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٧م، مج/١٧، ع٦٥.
٣٠. م **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٣١. **الطب النفسي للجميع**، عبد المنان حسين الجادري، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.
٣٢. **العدل والإحسان في الإسلام**: دراسة دعوية، زينب عبد الله الراجحي، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.
٣٣. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن قيم الجوزية، ط٣، ١٩٨٩م، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
٣٤. **علم النفس السياسي والإعلامي**، لخوالدة، محمود عبد الله، والعموش، حسين علي، ط١، ٢٠٠٩م، دار اليازوري العلمية، الأردن.
٣٥. **غاية المريد في علم التجويد**، عطية قابل نصر، ط٧، القاهرة.
٣٦. **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
٣٧. **القيم والعادات الاجتماعية**، فوزية دياب، دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، ١٩٩٦م.
٣٨. **القيم الإسلامية المطلقة والنسبية**، محمود الحياري، ورقة عمل في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، المتغير في الفترة ٢٧- ٩ -١٩٩٩م، جامعة اليرموك، الأردن.
٣٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، محمود بن عمر، ط٣، ١٩٨٧م، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٠. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، لخازن، علاء الدين علي بن محمد، ط١، ١٤١٥هـ، دار الفكر- بيروت.
٤١. **لسان العرب**، ابن منظور محمد بن مكرم، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
٤٢. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٣. **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده، ت: عبد الحميد هنداوي، ط١، ٢٠٠٠م،دار الكتب العلمية.
٤٤. **معاني القراءات للأزهري**، محمد بن أحمد بن الأزهري، ط١، ١٩٩١، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

٤٥. **المعجم الوسيط**، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار النشر: دار الدعوة.
٤٦. **معجم مصطلحات الطب النفسي**، لطفي الشربيني، دار النشر: مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
٤٧. **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي، ط٣، ١٤٢٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨. **معجم مصطلحات الطب النفسي**، لطفي الشربيني، دار النشر: مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
٤٩. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر١٩٧٩م.
٥٠. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: صفوان عدنان الداودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٥١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٢. **الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية**، طه عابدين، وآخرين، دار النبأ العظيم.
٥٣. **وظائف الاتصال في ضوء توجيهات القرآن الكريم**، حسن فيحان، ط١، ٢٠١٧م، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن.